

موضوعات مختلفة : 3 - من سيرة النبي - فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

أبيها الإخوة الأكارم :

نحن كما تعلمون في شهر المولد ، ولطيف بالإنسان أن يذكر في هذا الشهر شمائل النبي عليه الصلاة والسلام ، ولكنني اخترت لكم في هذا الدرس موضوعاً لم أعالجه من قبل ، إن هذا الموضوع هو فصاحة النبي عليه الصلاة والسلام ، انطلاقاً من أن جمال الرجل فصاحته .
المرأة جمالها معروف ، هناك من يصف جمالها بصفات معينة ، ولكن الذي يلفت النظر أن الرجل جماله في فصاحته ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أفصح العرب من دون استثناء ، حينما كنا في الجامعة علمونا أن أفصح كلام بعد كلام الله عز وجل هو كلام رسول الله .
أفصح كلام على الإطلاق هو القرآن الكريم ، بعد القرآن الكريم يأتي الحديث الشريف ، ويُقال إن كلام الإمام علي كرم الله وجهه يأتي بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الفصاحة ، لذلك جُمعت أقواله وخطبه في كتاب اسمه نهج البلاغة .
إذا أردت أن تتعلم الفصاحة اقرأ القرآن ، واقرأ حديث النبي عليه الصلاة والسلام ، وقرأ نهج البلاغة .

والحقيقة حينما يكثر الإنسان قراءة القرآن لا يشعر كيف تنمو ملكته التعبيرية ، أنا حينما أستمع إلى إنسان لدقيقتين أعرف أنه يقرأ القرآن أو لا يقرأه . إذا قال لك : لقد وضعت الحرب أوزارها بين إيراه والعراق لما قال لك : وضعت الحرب أوزارها ، ما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أنه اقتبسها من القرآن . دائماً وأبداً قارئ القرآن من دون أن يشعر يستخدم تعبيرات قرآنية حتى في حياته اليومية ، يقول لك : الآن ححصص الحق هذا كلام امرأة العزيز في سورة يوسف . فإذا قرأت القرآن وأكثرته قراءته وقرأته بصوت جهوري لا تشعر إلا وملكة التعبير تنمو عندك وكما قلت قبل قليل جمال الرجل فصاحته . فقارئ القرآن إذا أراد أن يتحدث إلى أهله ، إلى أولاده ، إذا أراد أن يبيع أو يشتري وهو لا يدري يستخدم عبارة قرآنية .

إن شاء الله في درس قادم أتیکم بقصة شهيرة عن امرأة لا تتكلم إلا القرآن ، يعني استطاعت أن تعبر عن كل حاجاتها التفصيلية بآيات قرآنية على كل كلمك يقرأ القرآن ، ويقرأ الحديث ، ولكن قل ما تنتبهون إلى الصياغة . الإنسان ما لم يقرأ القرآن أو الحديث قراءة أسلوبية .. ينتبه إلى النظم ، ينتبه إلى الصيغة ، ينتبه إلى الصورة .

سؤال : هل في القرآن الكريم صور أدبية ؟ هل مر معك صورة أدبية في القرآن ؟ .. تفضل .. هات صورة من هذه الصور .

﴿ فَكَايُنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبَنُو مُعَطَّلٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (45)

[سورة الحج]

وبَنُو مُعَطَّلٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ . مفارقة حادة جداً ، المرفق الأساسي الذي يحتاجه الناس أشد الحاجة معطل ، والشئ الذي لا يعينهم في أعلى درجاته . يعني متى استحققت هذه الأمة الهلاك ؟ إذا تعطلت الحاجات الشخصية .. وبئر معطلة وقصر مشيد ..
على كل إذا قرأت القرآن أتمنى عليكم أن تنتبهوا إلى الصيغة ، إلى الصورة ، إلى المثل . مثلاً :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (5)

[سورة الجمعة الآية 5]

تصور دابة حاملة كتاب فيزياء وكتاب كيمياء ، وكتاب رياضيات وكتاب تاريخ ، وكتاب فيزياء نووية ، وكتاب كيمياء عضوية ، وبعد حين من الزمن طرحنا عليها أسئلة كثيرة ليس لها إلا أن تنتهق . فهذا الذي حُمِلَ التوراة .. ما معنى حُمِلَ التوراة ؟ كيف فهمها والعمل بها ، ثم لم يحملوها ، لم يفهموها ولم يعملوا بها .
النبي عليه الصلاة والسلام كان أفصح العرب ، وكان يقول :

﴿ إن الله أدبني فأحسن تأديبي ﴾

سؤال : في القرآن الكريم عبارات تتحدث عن علاقة المرأة بالرجل بعبارة رفيعة جداً ؟ .

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾

[سورة النساء]

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) ﴾

[سورة المؤمنون]

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوا رَبِّكُمْ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ (223) ﴾

[سورة البقرة]

﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

[سورة البقرة]

ترجموها هذه الآية باللغة الفرنسية على الشكل التالي : المرأة بنطال للرجل ، والرجل بنطال للمرأة !..

صور من حديث رسول الله حسب موضوع الدرس .

حتى تذوق عسيلاتنا ، وتذوق عسيلاتك

وشاب دعته امرأة ذات منصب وجمال ..

إلى ما دعته . مفهوم ، هذا الأدب النبوي . ما منا واحد إذا سمع هذا الحديث إلا ويعلم إلى ماذا دعته ، فالنبي عفا عن التفاصيل .

رأى فتاة من قريباته ترتدي ثوباً رقيقاً ، قال : يا بنيتي إن هذا الثوب يصف حجم عظامك .

ابحث في اللغة كلها هل تجد كلمة غير هذه الكلمة إلا وتثير الشهوة إلا هذه الكلمة ، كلمة عظم منفرة ، يا بنيتي إن هذا الثوب يصف حجم عظامك .

هذا الأدب ، أدبي ربي فأحسن تأديبي . طبعاً الأدب يشمل التصرفات والكلام ، هناك كلام أدبي ، هناك كلام مهذب .

سيدنا عمر كان يمشي في الطريق ، رأى أناساً يوقدون ناراً قال : السلام عليكم يا أهل الضوء ، وكره أن يقول : السلام عليكم يا أصحاب النار .

النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا جاء خاطب لابنته يعطيها ظهره ويقول : يا بنيتي إن فلاناً ذكرك . كناية ..

الآن تسمع تفاصيل بين الأب وابنته حول الزواج : لا أحبه طويل قصير ، أبيض ، أسمر ، ترى البنات تسترسل عن صفات المخطوب أمام أبيها وأخيها وكأنه شيء

طبيعي جداً .. يا بنيتي إن فلان قد ذكرك . هذا

((أدب النبي عليه الصلاة والسلام))

[بن السمعاني في أدب الإملاء - عن ابن مسعود]

ونشأت في بني سعد ، وقال عليه الصلاة والسلام :

((بُعِثْتُ بِجِوَامِعِ الْكَلِمِ))

[متفق عليه]

كان كلامه في أعلى درجات الفصاحة .

مرة قال :

" أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش " .

أنا أفصح العرب بيد أنني (إلا أنني - وكأنا توهمنا أنه سيذم نفسه، قال: بيد أنني من قريش . وقريش أفصح قبيلة في العرب ، فهذا الأسلوب أسلوب المديح بما يشبه الذم .

قال الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

تقول : فلان كريم لا كن شجاع ، شيء عظيم ، لما قلت كريم لكن كلمة لكن يُتوهم أنه ذم ، فيأتي المديح .

قال : أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش .

أحياناً هناك أمثلة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وصور أدبية وعبارات في منتهى الروعة ، لذلك هناك كتب تُعنى بدراسة كلام النبي دراسة أدبية دراسة فنية ، كيف

كان عليه الصلاة والسلام يصوغ الكلام .

((لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه))

فيه توازن ، فيه إيقاع متشابه .

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له : يا رسول الله ما بالك أفصحنا (شيء عجيب ما هذه الفصاحة ، ما هذا الكلام) ..

قال كأن منطقهم خرزات نظم يتحدرن ، كأن كلماته عقد لؤلؤ حبات منظومة نظماً .

كان كلامه فصلاً ، لا هزرأ ولا نزرأ .

اليوم أكثر الكلام القليل ، إيجاز مخل . كيف كان اللقاء ؟ ما شي الحال قل لنا ما جرى ، ما شي الحال . تتضابق ، تجر الكلمة منه جرأً . هذا إيجاز مخل . وهناك

تفاصيل مملكة ؛ والله ذهبت لأقبله انتظرت ساعة جلس بجانبني واحد ، أقابلته ؟ ماذا قال لك ؟ . إلى أن دخلت عنده دخل واحد وطلع غضبان ، يا أخي هل قابلته ، يقول لك تفاصيل تفاصيل قبل الموضوع حتى تخرج من جلدك ..

فالفصاحة بين الإيجاز المخل ، والإطناب الممل .

فالنبي عليه الصلاة والسلام كان كلامه فصلاً لا نزرراً ولا هزرراً . وكان الذي يستمع إليه يعد كلامه عدأً ، كان هادئاً يلقي الكلام كلمة كلمة .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : مات حنط أنفه ، وما سمعتها من عربي قبله .

مثلاً من الصور النبوية التي تلفت النظر ..

" أول من يمسك بحلق الجنة أنا (أول إنسان يمسك بحلق أبواب الجنة أول من يدخل الجنة) فإذا تنازعني ، تريد أن تدخل الجنة قبلي (امرأة تنازعه ؟ تريد أن تدخل الجنة قبله) قلت من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً صغاراً فأبت الزواج من أجلهم "

لو سمعت هذا الحديث امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً أثرت تربيتهم ، ومستقبلهم ، وأخلاقهم ، وضبطهم على حظوظ نفسها ، لو سمعت هذا الحديث لذابت إعجاباً بعملها ، وحباً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

من كلامه المتقن وأمثاله العجيبة ، درسنا اليوم من الناحية الجمالية درس متع ، الإنسان يتكلم ، يلقي كلمات ، يقرأ ، أحياناً يلفت نظره عبارة رائعة ، النبي الكريم قال :

((إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة))

[أخرجه الطبراني عن أنس]

والإنسان لما يتكلم عن الله عز وجل سيستخدم اللغة ، فإذا استخدم لغة راقية ، مؤثرة ، كان هذا سبباً في إحداث تأثير في المستمعين ، الفصاحة مطلوبة ، إتقان اللغة مطلوب . والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

" الناس كأسنان المشط "

[أخرجه الحسن بن سفيان وابن بشر الدوالي والعسكري في الأمثال، وابن عساكر عن سهل بن سعد وابن عدي في الكامل عن أنس بلفظ : الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعاقبة، والمرء يكثر بأخوانه المسلمين، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي

ترى له، عليك بأخوان الصدق تعش في أكتافهم، فإيهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء]

هذا تشبيه ، الناس مشبه ، كأسنان المشط مشبه به ، وفي حديث آخر :

((الناس سواسية كأسنان المشط))

((المرء كثير بأخيه))

أنت ضعيف ، أما إذا كنت مع مؤمنين طيبين صادقين ، مخلصين محبين ، تصبح قوياً . أنت فقير ، مع إخوانك غني ، ضعيف مع إخوانك قوي . فأنت لا تعرف ، مع إخوانك تعرف ، أسألهم ، استشرهم فالإنسان وحده ضعيف ، مع أخيه يعرف ، مع أخيه يقوى ، مع أخيه يغني . وقال أيضاً :

((لا خير في صحبة من لا يرى لك من الفضل مثلما يرى لنفسه))

أي لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له .

إذا صاحب الإنسان شخصاً مستعلياً عليه يكون متعباً جداً ، كلما جلس معه خرج منقبض النفس ، لم شايف حاله ، والله أنا لا أقل عنه ، فيه استعلاء ، مثل هذا الإنسان لا يُصاحب .

صاحب شخص يعرف قدرك ، يعرف قيمتك ، يقدر إيمانك ، يقدر أخلاقك ، يقدر علمك ، فإذا جلست معه أحببته وأحبك ، وارتحت إليه وارتاح معك ، وأمضيتما الساعات الطوال وأنتما في جنة .

اجلس مع شخص يرى نفسه فوقك ، يرى نفسه أغنى منك ، ماذا تملك؟ كم دخلك في الشهر؟ .. يقيمك من دخلك فقط ، لا يعبا بعلمك ولا بأخلاقك ، ولا يفهمك ، ولا بتديك ، ولا بقرآنك الذي تحمله ، فقط تقيمه الوحيد من دخلك فقط ، هذا لا يُصاحب .

قال في الخيل :

((الخيال بطونها كنز ، وظهورها حرز))

معنى الحرز : الحصن

والكنز معروف : ما أحد اشترى سيارة واستيقظ صباحاً فرأى واحدة صغيرة بجانبها ، على العكس ، مضي الزمن يقلل من قيمتها ، أما الخيل عندك فرس مرتاح بها ولدت فأنجبت فرس صغيرة ، أصبحت لابنك . فالخيال بطونها كنز وظهورها حرز .

أحدث موضوع علمي نُشر في بعض البلاد الغربية أن الخيل تقي الإنسان أمراض القلب والشرابين ، والكبد ، والكليتين . المركبات الحديثة تسبب أمراض القلب ، والشرابين ، والكبد والكليتين . مصممة من قبل خالق الإنسان ، الحركة والانهزاز الدائم ، طبيب الكليتين يقول لك امش ، الطبيب الداخلي يقول لك امش ، فالحركة فيها فائدة كبيرة جداً فالإنسان لو ركب الفرس الاهزاز يشد العضلات ، يحرك الكبد ، الكليتين . الهضم ، الذي يركب الخيل لا يعاني من إمساك أبداً ، ولا ترهل ولا ضعف في الكليتين ، ولا الكبد .

وقال :

((خير المال مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة))

السكة : يعني صف من النخيل الملقح .
النخيل يعيش في بعض البحوث العلمية 100 عام .

((خير المال مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة))

انظر إلى التوازن ، التوازن دقيق جداً ، التوازن أحد أسباب الفصاحة.

﴿ أَقْلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) ﴾

[سورة الغاشية]

هذا توازن لفظي ، هذا أحد أسباب جمال الأسلوب .

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال :

" خير المال مهرة مأمورة ، أو سكة مأبورة " .

أراد أن يمدح الأنصار ، فقال : إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع " .

بعكس الناس ، الآن قل يوجد نزهة في المسجد ، فترى أربعين ، خمسين ، ستين ، الكل يريد الذهاب إلى النزهة ، قل : هناك صخرة نريد أن ننظف الجامع ، لا ترى أحد . في نزهة الكل يكثر . النبي مدح الأنصار فقال : إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع " .
انظر هذه الصياغة ما أجملها ، عند الطمع تقلون ، لا ترى أحداً ، توزيع مغانم ، مكاسب ، ميراث ، أما إذا دام خطر تراهم جميعاً موجودين .
وقال :

((من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))

[رواه مسلم]

" يا فاطمة بنت محمد ، يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أعني عنكما من الله شيئاً ، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " .

" أنا جد كل تقي ولو كان عبداً حبشياً " .

قلما أدخل إلى بيت من بيوت الشام العريقة إلا وأرى الشجرة ، بنصف الحائط ، فلان ، فلان ، فلان إلى رسول الله ، شيء جميل ، هناك نسب أقصر ، قال النبي الكريم : " أنا جد كل تقي ولو كان عبداً حبشياً " .

" من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه " .

يبطئ - يسرع . تسمى المقابلة ، المقابلة كلمتان لهما معنيان متعاكسان الحر والقر ، الصالح والظالم ، الخير والشر ، الحق والباطل ، الإحسان والإساءة ، الجمال والدمامة ، الذكاء والبلاهة ، فكلما أتيت بكلمتين متعاكستين ، فهذا اسمه طباق في البلاغة ، أما إذا جئت بمجموعة أسماء تقابل مجموعة أسماء متعاكسة ؛ فترفع بالإعجاز من كان جاهلاً وتخضع بالإذلال من كان يعقل ترفع وتخضع ، إعجاز إذلال ، جاهل يعقل ، هذا اسمه مقابلة .
فالنبي يقول : من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه ، فيه مقابلة .
من أقواله عليه الصلاة والسلام البليغة :

((حبك الشيء يعمي ويصم))

[أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي الترداه وفيه أبو بكر وهو ضعيف]

إذا أحب شيئاً صار أعمى وأصم ، مهما ألقيت عليه من المواعظ لا يسمعها ، مهما رأى العبر في غيره لا يعتبر ، لذلك أخطر شيء في الإنسان أن يكون قلبه مغلف ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، حبك الشيء يعمي ويصم
" جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها " .
" البلاء موطن بالمنطق " .

(أخرجه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود، وصحح البيهقي في شعب الإيمان وفقه (أي صحح أنه موقوف: أي من كلام الصحابي)

أحياناً يتكلم الإنسان كلمة لا يلقي لها بالاً تجر إليه بلاءً كبيراً .

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان

كم في المقابر من قنيل لسانه كانت تهايه الشجعان

((زر غباً تزدد حباً))

[رواه البزار وفيه عويد بن أبي عمران، وهو متروك وأبو نعيم والعسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، وقال في سننه طلحة غير قوي، وروى هذا الحديث بأسانيد أمثلها هذا، وفي بعضها قيل له أين كنت أسس يا أبا هريرة قل زرت ناساً من أهلي فقال

يا أبا هريرة زر غباً تزدد حباً، ورواه العسكري أيضاً عن أبي هريرة]

كلام لطيف ، أكثرت من الزيارات أصبح هناك تأفف ، أصبح إهمال تركك ساعة في الغرفة لوحك ، مالو فاضيلك ، كترت الزيارات ما عاد في بشاشة ، ما عاد في ترحيب ، لو زرت أمك أو أبك ، لذلك زر غباً تزدد حباً .

" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " .

[رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک عن سليمان، الزوار عن ابن عمر]

سجن للمؤمن فيها تكاليف ، هذه حرام ، هذه لا تجوز ، هذا لا يرضي الله ، هذا الطريق موبوء بالنساء الكاسيات العاريات ، هذا المقصف فيه خمور ، هذا المنتزه فيه غناء ، هذا اللقاء فيه اختلاط لا نستطيع .

الكافر ما عنده شيء حرام ، أين ما كان يجلس ، في أي منزل يدخل ، مع أي ناس يجلس ، اختلاط ، بلا اختلاط ، يتكلم كيف ما يريد ، يغتاب بنم ، يسخر ، يتكلم بالفحش أحياناً بمزاح رخيص ، بمزاح جنسي ، فلتان دابة فلتانة ، يفعل ما يشاء ، أما المؤمن ، الإيمان قيد ، ولكن النقطة الدقيقة قال الله عز وجل :

﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (5)

[سورة البقرة]

جعل الله المؤمن فوق الهدى ، لأن الهدى يرفعه ، فهو على الهدى .

قال :

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (44)

[سورة الروم]

الإنسان تحت الكفر ، وكان الكفر صخرة تسحقه ، وكان الإيمان عرش يعلوه ، الإيمان يرفعك ، والكفر يسحقك . ومن كفر فعليه كفره .

أولئك على هدى من ربهم ، أنت فوق الهدى ، والكفر فوق الكافر فوقه ليسحقه ، والمؤمن فوق الهدى ليرفعه .

((إذا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))

((نية المؤمن أبلغ من علمه))

[رواه العسكري في الأمثال والبيهقي عن أنس مرفوعاً]

إذا قدم ألف ، يتمنى أن يدفع خمسة آلاف ، إذا قدم لك بيته ، يتمنى أن يقدم لك الضيافة مع البيت ، إذا خدمك خدمة يتمنى أن يخدمك خدمتين دائماً نية المؤمن خير من عمله ، وتنتمى الحديث : ونية الكافر شر من عمله . إذا قدر أن يحسم لك بالمائة عشرة يتمنى أن يسرحك من الوظيفة إذا قدر مثلاً أن يتكلم معك كلمة قاسية يتمنى أن يضربك ، ولكن لا يناسب أن يضربك ، فدانماً نية الكافر شر من عمله ، والمؤمن نيته خير من عمله .

سبحان الله ، كلها كلمات رائعة ، قال :

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم))

[أخرجه الزوار وأبو يعلى والطبراني في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق الزوار رجاله ثقات]

[واحد دخله محدود إذا كل ما جاءه شخص يصنع له غذاء وعشاء لا يتحمل دخله الإنفاق ، لعل دخله أقل من مصروفه ، ولكن لعل هذا الإنسان ذا الدخل المحدود أن يسع الناس كلهم بأخلاقه العالية ، ببشاشته وجهه ، بتواضعه ، بخدمته للناس ، بالترحيب بهم ، باستقبالهم ، بمؤانستهم ، بتعليمهم ، أما أن تسعوا الناس بأموالكم شيء فوق طاقتكم إلا الأغنياء ، لهم ترتيب آخر ، أما عامة الناس متوسطوا الحال ، أصحاب الدخل المحدود لن يستطيعوا أن يسعوا الناس بأموالهم ، ولكنه بإمكانهم أن يسعوه بأخلاقهم ، كم في هذا الحديث من جبر خاطر للفقير . إذا فأنك إنفاق المال لم يفتك البشاشة ، والأدب ، وطلاقة الوجه ، والترحيب والخدمة ، والدلالة ، والنصحية ، والتعليم ، والتوجيه ، هذه كلها بإمكانك أن تفعلها ، لا تكلفك شيئاً .

((الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))

[أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس]

تصور واحد صب ملعقة خلف بوعاء فيه عسل ، فسد العسل ، كذلك العمل السيئ يفسد العبادة ، لأن العمل السيئ حجاب بينك وبين الله فالصلاة أصبحت غير مجدية ، الصيام غير مقبول ، الحج غير مقبول مادام فيه عمل سيئ هذا العمل السيئ أفسد العبادة .

طبعاً هذه الأحاديث مُختارة لا على أساس موضوعات ، بل على أساس براعة نظم ، على أساس بلاغة ، على أساس فصاحة ، على أساس جمال أسلوب ، على أساس روعة نظم ، على أساس تشابيه استعارات ، على أساس صور أدبية .

((إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق))

[أخرجه الزوار في مسنده عن جابر ، قال البيهقي وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب ، ورواه البيهقي في السنن من طرق وفيه اضطراب روى موصولاً ومرسلأ ومرفوعاً وموقوفاً واضطراب في الصحابي هو جابر أو عتبة أو عمر؟ ورجح البخاري في

التاريخ إرساله]

إذا فهم الإنسان الدين فهماً عميقاً ، كما قال النبي الكريم : " ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته ..

أحب الله عز وجل أحبه حباً جماً ، ترك دراسته ، أنت بعد حين تجد أصدقاءك أصبحوا مهندسين ، أو أطباء ، أو أصحاب أعمال ناجحة ، أو أصحاب حرف جيدة ، وأنت بلا دخل ، وبلا بيت ، وبلا زوج ، يُخشى أن تنتكس نكسة قوية بعد ذلك ، فأنت يجب أن تعمل توازن بين دراستك وتدينك ، وبين تجارتك وتدينك ، وبين رعاية أسرتك وتدينك ، فأعط كل ذي حق حقه ، أما إذا أهملت كل الجوانب ، وانكبيت على جانب واحد نجحت فيه إلى حين ، ثم التفت فإذا أنت أمام مشكلات خطيرة من حولك هذه قد تسبب لك نكسة كبيرة ، فإن هذا الدين متين ، هذا دين العمر فأوغل فيه برفق .

لما أرى أحياناً متوقفاً في دراسته في الجامعة ، أو في التعليم الثانوي أو متفن في عمله ، صاحب حرفة درجة أولى ، أو له تجارة ناجحة ، مبنية على الاستقامة ، ومع هذا الجاه في الدنيا متفوق في دينه ، طليق اللسان في دعوته ، مخلص في عمله ، هذا النموذج هو الذي يلفت نظري لأن الناس لا تحترم المتخلف ، لا تحترم المهمل ، لا تحترم الجاهل ، فإذا كان لك دين متين بينما دنياك هشة ، دنياك مهمل ، دنياك غير متقنة لست متوقفاً في عملك .. ادخل إلى دكان شخص غير منظمة ، غير

مرتبة ، فيها غبار ، الحسابات فوضى ، ترى هذا الإنسان لا يعجبك ولو كان صاحب دين ، أدبته يأمره بهذا ؟ .. أما لو كان منظم ، حساباته منظمة ، مواعيد فتح المحل وإغلاقه منظم ، علاقته مع الناس واضحة ورأوه صاحب دين يعجبون به .
الابن مع أهله أحياناً ، إذا نجح نجاح باهر في دراسته يحترم أهله تدينه ويحترمون جامعه ، ويحترمون أستاذه ، أما إذا أهمل دراسته ينصب اللوم على الجامع ، وعلى الذي يعلمه ، ويكن الذي يعلمه ليس له علاقة بتقصيره .

((ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته ، ولا من ترك آخرته لدنياه إلى أن يأخذ منهما معاً فإن الأولى مطية للثانية))

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم البليغة الرائعة :

((ما قل وكفى خير مما كثر وألهى))

[رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير صنفة بن الربيع وهو ثقة]

لهذا دعا مرة فقال : " اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً " .

يكفيك ، فكلمنا رأيت إنسان سألته عن حاله قال : الحمد لله مستورة أقل له : معنى هذا أصابك دعوة النبي ، قال : ما دعوته ، هل دعا علينا ؟ لا .. قال : اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً " . عنده ما يغطي حاجاته لا شيء زائد إطلاقاً ، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

((الشتاء ربيع المؤمن ، قصر نهاره فصامه ، وطال ليله فقامه))

أحياناً الإنسان إذا صام في الشتاء فكأنه لم يصم ، الدنيا برد ، لا يعطش أبداً ، النهار قصير ، إذا خرج من محله التجاري الساعة الثانية والنصف ، أو الثالثة والنصف ، فالمغرب أربعة ونصف ، والفجر متأخر الساعة الخامسة ، إذا أكل الساعة الخامسة ، وتناول الطعام الساعة الرابعة والنصف مع المغرب فكأنه ما صام .

((فالشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه))

صلى قبل الفجر قيام ليل ..

((من ضمن لي ما بين لحبيبه ، وبين رجليه ضمنت له الجنة))

ما الذي بين اللحيين ؟ اللسان .

بين رجليه : الفرج

انظر إلى البلاغة ما أجملها .

((الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر]

هذه كلها أنصاف ، نصف بنصف بنصف ..

مثلاً : يمكن أن تشتري سجادة وطنية بألفين ليرة ، أو بثلاثة آلاف ليرة صوف مائة بالمائة، تؤدي الغرض تماماً ، تعمل عزل في الشتاء وألوانها ثابتة ، ويمكن أن تأخذ سجادة بثمانين ألف ، أيضاً صوف مائة بالمائة ، فأنت إذا اخترت الشيء المتقن والرخيص ، تكون قد وفرت نصف أو ربع القيمة ، يعني ممكن أن تختار حاجة متينة ولكن غير فخمة كثيراً فتوفر نصف المصروف .

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل

مثلاً بالحاجات : يمكن أن تأخذ الحاجة من منبعها ، الفارق كبير جداً جملة بفارق أكبر ، فالجملة من منبعها بوقتها المناسب توفر نصف المصروف .

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم " .

" لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له " .

انظر كيف ربط الإيمان بالأمانة ، والدين بالعهد ، إذ الدين مكارم أخلاق .

((جمال الرجل فصاحة لسانه))

القضاعي) والعسكري كلاهما من حديث محمد بن المنكدر (عن جابر) وكذا رواه عنه الخطيب والقضاعي وفيه أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود قال في الميزان عن الخطيب كذاب ومن بلاياه هذا الخبر وفي اللسان عن ابن طاهر كان يضع الحديث

((منهومان لا يشيعان ، طالب علم وطالب مال))

[أخرجه ابن عدي في الكامل عن أنس ، والبخاري عن ابن عباس]

((لافقر أشد من الجهل ، ولا مال أعود من العقل ، ولا وحشة أشد من العجب))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن علي]

يعني إذا الإنسان معجب بنفسه الناس كلهم ينفرون عنه ، يتبعون عنه اتركه شايف حاله ، لا أحد يحبه ، ما في وحشة أشد من العجب ، ولا في مال أعظم من العقل ، الإنسان بالعقل يكسب المال ، ينفق المال بتؤدة بذكاء بحكمة ، ولا فقر أشد من الجهل . مرة رجل سأل : من الفقير ؟ قال له : الفقير معروف ، قال الفقير الذي ليس عنده مال ، قال له من هو أفقر منه ؟ قال : أفقر من الفقير من لا يملك إلا المال .

علم ما في ولكن في مال كثير ، هذا أفقر من الفقير .

((الذنب لا ينسى ، والبر لا يبلى ، والديان لا يموت ، عمل ما شئت كما تدين تُدان))

[رواه البيهقي في كتاب الزهد والأسماء والصفات عن أبي قلابة]

قال :

((ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم))

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي أمير المؤمنين قال الهيثمي هو من رواية حفص بن بشر عن حسن بن الحسين بن يزيد العلوي عن أبيه ولم أر أحداً ذكر أحداً منهم ، ورواه العسكري في الأمثال وزاد وأفضل الإيمان التحيب إلى الناس]

أحياناً ترى علم ولكن لا يوجد أخلاق ، من جبايرة العلماء ، أحياناً ترى خلقاً ولكن على جهل ، درويش ولكن ما فهم شيء . أنت لا يعجبك لا هذا ولا ذلك ، أجمل شيء بالإنسان أخلاق عالية جداً مع علم متين ، هكذا قال النبي .

((ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم))

((العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، والتواضع لا يزيده إلا رفعة))

الذي يتكبر ينزل ، إذا واحد تكبر وخرج من الغرفة يتحول الناس أحياناً يشيرون إليه ، أحياناً يحاكونه في تكبره ، أحياناً ينهشون في عرضه ، ولو كان متواضعاً إذا خرج من عندهم يثنون عليه ، فالعفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، والتواضع لا يزيده إلا رفعة .

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

[رواه الطبراني في الكبير والحاكم]

الموتات الخبيثة جداً ، الفذرة ، هناك موتات مؤلمة جداً ، الإنسان إذا كان عمله طيب موته ، قال تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَخَابِهُمْ وَمَخَافَتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) ﴾

[سورة الجاثية]

واحد يموت في فراشه ، بين أهله وأولاده ، والله عز وجل يلهمه الشهادة ، ويلهمه السلوان ، ويريه مقامه في الجنة ، وإنسان يموت في المرحاض ، دخل ولم يخرج ، وبعد دخلوا عليه فوجدوه ميتاً .
مرة كنت أمشي في الطريق أمام قصر العظم ، وجدت ازدحام سألت قال : والله الآن واحد مات ، رجل ملقى في الأرض ، ووضعوا عليه غطاء ، ذهبت إلى المكتب ، جلست حوالي ستة سبع ساعات خرجت الساعة الثالثة لا زال كما هو ، سألت ماذا جرى ، قال الطبيب لم يأتي .
مرة كنت في تعزية ، جلس إلى جانبي عالم من علماء دمشق ، وتحدثت معه ، خرج من التعزية ، ما إن خرج منها حتى لقي أحاً لا يعرفه ، هذا الأخ أحب أن يوصله إلى منزله ، فأوصله مباشرة ، صعد ثلاث طوابق ، دخل إلى غرفته ، خلع الجبة ، واستلقى في فراشه ، ثم سلمها فوراً ، قلت : لو أحب أن يأخذ تكسي لمات في الطريق ، القى الله في قلب هذا الإنسان توصيله ، لا يوجد بينهما معرفة ، دقائق بين دخوله إلى البيت وبين موته . لو وقف دقيقتين في الطريق أو ثلاث دقائق ليأخذ تكسي لم يلحق .

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان))

[رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به، وكذبه أحمد وغيره، وبقيّة رجاله ثقات، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ]

كثير القصة تاملت فيها ، إلك خصوم إلك حساد بينز عولك إياها .

((إن من كنوز البر كتمان المصائب ، والأمراض والصدقة))

كيفك؟ الحمد لله، هناك أشخاص يكثر الشكوى، قد ما يبشنتكي الناس تمل منه، أين ما جلس يشنتكي.

((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ))

[أخرجه البخاري]

بالوا مرتاح، وصحته طيبة، وعنده وقت فراغ يحضر مجلس علم هذه نعمة كبيرة جداً.

((ليس شيء أفضل من ألف مثله إلا الإنسان))

الآن غنمة غنمة، طلع وزنها كيلو زايد، معناها ثمانين ليرة زيادة، الكيلو ثمانين ليرة، طيب كيلويين، مائة وستين، أما غنمة أعلى من غنمة بألف ضعف ما وردة هذه، أما الإنسان واحد كالف، المؤمن بيسوى مليون إنسان، واحد كالف، وألف كالف، العصاة لا قيمة لهم عند الله عز وجل، الألف كالف، أما المؤمن الواحد كالف.

((اليمين حنث أو ندم))

[أخرجه البخاري في التاريخ والحكم في المستدرک عن ابن عمر بن الخطاب، ورواه البيهقي قال في المهذب وفيه ضعف]

لا تحلف يمين، إما سوف تحنث أو ستندم.

جاره سمان تلاسن معه قال له: والله لن أقف عليك، جاءه ضيف الساعة الثالثة، ولا يوجد غيره فاتح جنبك، بدك تندم على هذا اليمين.

لا تحلف يمين أبداً لأنه إما أن تندم وإما أن تحنث بها.

((أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره))

ليس بدنياه بل بدنيا غيره.

طبعاً هذا الفصل عن أقوال النبي من زاوية واحدة من زاوية البلاغة وجمال الأسلوب وروعة النظم، وحسن الصياغة، وجمال الصورة وروعة المثل، والتشبيه الدقيق، والاستعارة الملمحة، هذا كله من أقوال النبي، ومن فصاحته، قال:

((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش))

وكان يقول:

((إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة))

وكان يقول:

((جمال الرجل فصاحته))

وكان منطق خرزات نظم يتحدرون، كان كلامه فصلاً، لا نزرأ ولا هزرأ.

وقال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

أحياناً قد تفهمون هذا الكلام فهماً آخر، أنه قد أدبه ربه كان لطيف من معاني الأدب الكلام الفصيح، يقول لك: الأدب العربي، المعاني بالعربية أما الصياغة، الأدب: يعني الصياغة العربية الرائعة الصيحة الجميلة " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .